



تجليات الغربية في شعر محمد مصطفى الغماري

زيتوني سهام طالبة دكتوراه
جامعة محمد بوضياف. المسيلة

Résumé :

La personne créative est douée d'une âme exceptionnelle, elle est sensible aux différentes émotions. Puisque la créativité est l'essence des émotions, l'émigration a depuis toujours inspiré les créateurs. Et quand on parle de créativité et d'émotions; cela nous renvoie automatiquement aux poètes. La poésie est la concrétisation des réactions humaines vis à vis d'une vision du monde, et qui a tant été liée à l'émigration, car rien n'a autant pu exprimer ni dépeindre les pensées touchantes et élevées qu'elle engendre.

On étudiant le poème arabe en général, et le poème algérien en particulier, on rencontre un flux d'émotions d'émigration sous toutes ses formes. C'est ce que l'on a pu voir en découvrant les œuvres poétiques de mohamed Mostafa El Ghemari

المخلص :

الإنسان المبدع ذو تكوين نفسي متميز، وهو أكثر الناس تأثرا بمختلف المشاعر، فالإبداع روح المشاعر لهذا فالغربة من أهم ميزات المبدعين، وإذا ذكرنا الإبداع والمشاعر تذكرنا مباشرة صورة الشاعر.

ولأن الشعر تجسيد لاستجابة إنسانية لرؤية العالم فقد كان أكثر صلة بظاهرة الغربة وأفصح في التعبير عنها وأتق في تصويرها، والدارس للشعر العربي عامة، والشعر الجزائري خاصة يصادف فيضا من مشاعر "الغربة" بمختلف صورها وهو ما وضحه لنا الاطلاع على الإنتاج الشعري لمحمد مصطفى الغماري.

الكلمات المفتاحية: الغربة، الشعر الجزائري، مصطفى الغماري، الانفعالات

تقديم:

لم تلازم ظاهرة إنسانية البشر مثلما فعلت الغربة، وكأنها فطرة جُبل عليها، كيف لا وهي متأصلة في أول الخلق أبو البشرية "آدم عليه السلام"؟، إذ بدأت غربته حتى وهو في الجنة،



لتستمر وتتضاعف غربته من اليوم الذي عصى فيه أوامر ربه بأكله من الشجرة المباركة التي حرمها الله عليه، وهنا سجلت أول صور الغربية والاعتراب بعد فراقه الجنة إلى أرض الغربية والفناء

أولاً: الغربية:

لغة:

وردت الغربية في أبرز المعاجم العربية بنفس المعاني التي كلها تحمل معنى: البعد، والنوى، والنزوح عن الوطن سواء مخيراً أو مجبراً .

فترد في معجم "العين" كلمة الغربية بمعنى: الاعتراب عن الوطن، والغربة: الاعتراب عن الوطن، وغرب فلانٌ عَنَّا يَعْرُبُ غَرْباً أي تتحى، وأغربته وغربته أي نحينه. والغربة: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى. وأغرب القوم: أنتوا. وغاية مغربة أي بعيدة الشأو. وغربت الكلاب أي أمعنت في طلب الصيد. ويقال: نحن غربان: أي غريبان...

وقال ابن أحمر:

لَا حَتَّ هَجَانُنْ بِأَسِي لَوْحَةً غُرْبٍ¹

وعرّفها "الزمخشري" في كتابه "أساس البلاغة": الغربية تعني البعد والتواري، والابتعاد عن الناظرين، يقول: غربت الوحش في مغاربهها أي : غابت في مكانها، وقذفته نوى غربة أي بعيدة. وكانت لزرقاء عين غربة أي: بعيدة المطرح. وهذا شأو مغرب بالكسر والفتح، يقال: غربه: أبعد، وغرب: بعد...، ويقال وهل من مغربة خير؟ وهو الذي جاء من بعد...ورمى فأغرب أي أبعد المرمى...².

ويورد "البستاني" في قاموسه "محيط المحيط" الغربية أيضا بمعنى: المرة والبعد، والتواري والنزوح عن الوطن، "غربت النجوم: تغرب غروباً بعدت وتوارت في مغيبها، والرجل بُعد، والقوم غرباً: ذهبوا، وفلان عناً: تتحى، وفي سفره تمادى، وفلان غربا وغربة: نزح عن وطنه...وتغرب



زيد: تزوج في غير الأقارب... ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه: الغربة، والاعتراب، والتغريب، والغريب، حتى قال بعضهم:

وَصَاحَ غَرَابٌ فَوْقَ أَعْوَادِ بَانَةٍ بِأَخْبَارِ أَحْبَابِي فَقَسَمَنِي الْفَكْرُ
فَقَلْتُ: غَرَابٌ بِاغْتِرَابٍ وَبَانَةٌ بَيْنَ النَّوَى تِلْكَ الْعِيَاةُ وَالزَّجْرُ

... والغربة: النوى والبعد،... وسهم غُرب: أي لا يُدري راميهِ، والغُربُ: الغريب، قال الشاعر:

وَمَا كَانَ غَضَّ الطَّرْفِ مِنَّا سَجِيَّتَهُ وَكُنْتَنَا فِي مُدْجِحِ غُرْبَا

أي: غريبان...، الغربة: المرة والبعد، ويقال نرى غربة: أي بعيدة، والغربة: النزوح عن الوطن...³

وفي "لسان العرب" لابن منظور: "... والغرب: الذهاب والتنحي عن الناس،... والغربة والغرب: النوى والبعد، ويقال: غَرَبَ فِي الْأَرْضِ وَأَغْرَبَ إِذَا أَمَعَنَ فِيهَا؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ: أَدْنَى تَقَادُفِهِ التَّغْرِيبُ وَالْخَبَبُ

ونوى غربة: بعيدة. وغربة النوى: بُعْدُهَا؛ قال الشاعر: وَشَطَّ وَلِي النَّوَى، إِنَّ النَّوَى قُدْفُ

النوى: المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك، ودارهم غربة: نائية، وأغرب القوم: انتووا، وشأو مُعَرَّبٌ وَمُعَرَّبٌ، بفتح الراء: بعيد؛ قال الكُمَيْتُ:

عَهْدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيبةِ تَطْلُبُ عَلَى دُبُرٍ، هِيَهَاتَ شَأْوُ مُعَرَّبُ

...وفي حديث عمر "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ": أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْأَطْرَافِ: هَلْ مِنْ مُعَرَّبَةٍ خَبِرَ؟ أَي هَلْ مِنْ خَبِرٍ جَدِيدٍ جَاءَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ؟... والغرب:، وَهُوَ الْبُعْدُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ: دَارُ فُلَانٍ غَرَبَةٌ،... والتغريب: النفي عن البلد، وغرب أي: بَعْدُ، وَيُقَالُ: اغْرُبْ عَنِّي أَي تَبَاعَدْ.⁴

والملاحظ أن كل معاني الغربة في المعاجم اللغوية العربية تحمل معنى مادياً أي: البعد المكاني فقط.



2- اصطلاحا: يمكن تلخيص معناها ودلالاتها أن الغربية تتمثل في الشعور الذي يمكن أن يشعر به الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه أو موطنه إلى مكان آخر، أو الشعور الذي يراود الفرد حين يُضطر للانفصال أو النزوح عن مجتمعه⁵.

لكن نلفت النظر أن في بحثنا هذا استعملنا مصطلح التغريب والغربة كمصطلح واحد حسب التعريف اللغوي الذي لا يفرق بينهما، بغض النظر عن استعمالاتها في المجالات الأخرى، وهذا تفاديا للاشتباكات اللفظية.

3- أنواعها: الغربية عند الأدباء ذات معنيين:

غربة مادية وهو التعريف الشائع لها، "وهي غربة المرء عن وطنه وعشيرته ومنتديات صباه ومرابع هواه، وهو شعور طبيعي يشترك فيه كل الناس مع اختلاف مستوياتهم وعصورهم، وأمصارهم، وربما شاركه فيها حتى الحيوان بما اختزنه نفسه من غرائز الألفة والتشبث بالمكان⁶.

وهناك الغربية الروحية، وهذه الغربية إحساس غامض مبهم بالانعزال والانغلاق يعترى المرء وهو بين أهليه وذويه، يصنعها الحرمان من ممارسة حريته وفكره وعواطفه بصورة طبيعية، أو هي تنتج عن طلاق فكري بين المرء وقومه أو تباين في الأخلاق والنظرة المصيرية... أو انعدام الحوار بينه وبينهم مما يؤدي إلى الإحساس بهذه الغربية⁷. وهذه الغربية هي مقصدنا في بحثنا هذا، وسنتعرف على أسبابها وتجليات صورها عند الشاعر الجزائري: "محمد مصطفى الغماري".

فلا ينكر أحد معاناته من الغربية فحتى الرسول "صلى الله عليه وسلم" ذاق مرارتها يوم أبعده عن بلده مكرها من بطش قريش إلى المدينة المنورة، وقبله كان حاله حال الأنبياء والرسل حين تجاهل الناس رسالاتهم.

أما في مجال الشعر فقد لازمته ظاهرة الغربية منذ الشعر الجاهلي حتى أن شعراء لقبوا به، وإلى غاية يومنا هذا لا تزال قرائح الشعراء تفيض غربة وتعزبا رغم التقدم العلمي، إلا أنه لم يصف



إلا فراغا أكبر، بل وعمق الهوة بين بني البشر. ويضيق بنا هنا المجال لنجمع شتات هذا الإحساس في الأدب والشعر، عسى أن يكون موضوعا لأبحاث أخرى مستقبلا،

ثانيا: تجليات الغربية عند الشاعر محمد مصطفى الغماري*:

1- أسباب الغربية :

بالرغم من أن الشاعر "محمد مصطفى الغماري" في وطنه وبين عائلته وأحبابه، إلا أنه إنسان دائم الشعور بالغربة في مجتمع لا يقدر طموحه، ولا يجد فيه ضالته التي ينشدها وأماله التي يترقبها، يقول الغماري في قصيدة "جهاد وغربة":

تَغْرِبْتُ...شَبَابِي فِي جِرَاحِي	تَعْوَصُ وَمِنْ غُرْبِي تَبْدَعُ
وَأوتَارها مِنْ لَهَاءِ الصَّبَاخِ	تُعْنِي الدُّرُوبَ وَمَنْ يَسْمَعُ
تَغْرِبْتُ يَا مَوْطِنِي فِي الهَوَى	كَسَيْفِ النَّبِيِّ جِهَادًا وَغْرِبَةً
حَمَلْتُ المَسَافَةَ مَلءَ دَمِي	وَأَعْلَمُ أَنَّ المُعَانَاةَ صَعْبَةٌ

بل إنه الغربية نفسها، يقول "الغماري" واصفا غربته اللامتناهية:

أَنَا غْرِبَةٌ تَطْوِي المَكَّانَ	وَيَنْتَهِي فِيهَا مَدَاها
وَيَظَلُّ يُوغِلُ فِي الزَّمَانِ	مَوْلُودًا وَخَفْقَاهُ وَخَفْقَاهُ

وليس هذا حاله فقط بل أغلب الشعراء في العصر الحديث، حتى أن من الشعراء الجزائريين ممن لازمتهم الغربية في شعرهم حتى لقبوا به، فهذه "الغربة التي أصبح الشاعر يحسها في عالم مليء بالألم والصخب هي غربة مرتبطة بفلسفة خاصة في الحياة لها دواعيها الخاصة بها، ولها بيئتها الطبيعية التي ولدت فيها فاحتضنها الشعر، وأصبحت ملازمة له، لكن هذه الغربية والشعور بالألم لا تعبر عن حنين واشتياق للوطن بل أسبابها مبهمة¹⁰.



وننطق مع الكاتب في وصف الحالة، لكن بقليل من التمعّن والترصد عرفنا أسباب الغربة عند شاعرنا "الغماري" وسنتطرق لها بشيء من التفصيل في أوانه.

استعمل الشاعر العبارات الدالة على الغربة، "فرحلة الغربة توحى بها بعض الاستعمالات وجميعها توحى بالرحلة والترحال"¹¹، ومنها: السفر، الزاد، الزمان المكان، المسافة، الراحة، الدروب، الليل،... وهذه الألفاظ أيضا من خصائص لغته الصوفية التي طبع عليها في مشواره الشعري.

والمتمعن في شعر "الغماري" خاصة في ديوانه "أسرار الغربة" يدرك أن لغربة الغماري ثلاثة أنواع وهي في نفس الوقت أسبابها:

أ- الغربة الدينية: والسبب بُعد المجتمع عن الدين والعقيدة الإسلامية: فالغماري "يشعر شعور الاعتقاد أنه ابن الإسلام وهذا ما زاد في محنته وغرخته معا، إنه ينظر إلى أمة الإسلام على رحابة أطرافها فلا يرى إلا ردة كبرى عن الإسلام، يرى جاهلية طاغية، وتبعية ذليلة وهزائم تتلوها هزائمهم"¹².

فهو و"عقيدته السمراء" في دائرة التغرّب، والحقيقة أن هذه الغربة التي يعيشها الغماري ليست مرضا يتصدع بتصدع الذات، بل هي غربة الهمة، وهذه الغربة طبيعية جدا في حياة مسلم وملتزم بقضايا دينه وأمته¹³، بل هي الغربة "المحمودة" وهي الغربة التي مدح "رسول الله" أهلها، وعن الدين الذي جاء به قال: {أَنَّهُ بَدَأَ غَرِيْبًا وَأَنَّهُ سَيَعُوْدُ غَرِيْبًا كَمَا بَدَأَ}، و{أَنَّ أَهْلَهُ يَصِيْرُونَ غُرَبَاءَ}... وهي "غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وهذه الغربة لا وحشة على صاحبها بل هو أنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا فوليه الله ورسوله والذين آمنوا وإن عاداه أكثر الناس وجفوه"¹⁴، يقول الشاعر "الغماري":

نَاجِيَ الْمُحِبُّونَ لَيْلَاهُمْ وَأَحْزَنَتْنِي
أَلَّا أَرَكَ سِوَى رَسْمٍ بِأَبْعَادِي¹⁵



وهذا الأبيات وغيرها كثير تؤكد أن "غربة الشاعر إنما هي غربة عقائدية محضة وليست جسدية، لأن الشاعر الهادف لا يعرف لهذه الغربة معنى أو يحسّ بها...¹⁶، فرغم أننا في مجتمع إسلامي وأن الإسلام موجود بين أهله، لكنه "غريب بينهم في آن واحد...موجود في مظاهره غريب في روحه وكيانه، كعقيدة تتبناها الأمة فلسفة حياة، وتصارع بها الأفكار والعقائد التي تتبناها الأمم الأخرى، وتحاول أن تغزو بها المسلمين، بل فعلت ونجحت في كثير من الأحيان"¹⁷:

أه .. يا أحبائنا خَبَتْ مسافاتُ البَعَادِ

فاغترَبْنَا ..

ولَدِينَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادَ

حينَ غَالَتْ فطْرَةَ الصَّحْرَاءِ "عَشْتَارٌ" و"عَاد"¹⁸

ب- الغربية الأدبية: والسبب بعده عن التيارات الأدبية في الجزائر، وخاصة الشعراء منهم في بداية حياته الشعرية، فقد كان الشاعر يمثل تيارا شعريا في حد ذاته ينشد فيه الأصالة سواء في الموضوعات، أو الشكل، في حين تلهم باقي الشعراء إلى تلقف ما ينتجه الشعراء المشاركة تحت شعار التجديد والحدثة.

"ولعلنا لا نجافي الصواب إذا قلنا إن "الغماري" يمثل أنموذج الشاعر المغترب الذي سقي مرارة الاغتراب والوحدة، فلم يتعرض شاعر أو أديب أو كاتب ولاسيما في الجزائر للمراقبة مثل ما تعرض له "الغماري"، فقد كانت عليه مراقبة مجهرية، وعلى إيداعه إلى درجة المطالبة بمصادرة أول ديوان له*، ولا تزال المراقبة متواصلة إلى يومنا هذا"¹⁹.

ج- غربة اجتماعية: وخاصة بعد خيبة أمله عقب الاستقلال، فقد كان يرسم غدا أفضل لم يكن ينغصه سوى المستعمر، لكن المستعمر رحل وخلف وراءه رواسب لم ولن يمحيها أشباه الرجال، و"أن الاستقلال الحقيقي هو تصفية الاستعمار من العقول على حد تعبير مالك بن نبي"²⁰.



إنه يائس يشعر بالغربة حتى وهو في وطنه وبين قومه وأهله والسبب: "مجتمع لا يقدر طموحه، ولا يجد فيه ضالته التي ينشدها وأماله التي يترقبها"²¹.

أخضراء ما غبتُ ولَكُنَّا بِأوطاننا عُيبٌ²²

ولا عجب أن ينفاقم هذا الإحساس عند الشعراء المعاصرين، في عالم تحكمه الماديات ، لأن "الغربة التي أصبح يحسها الشاعر الحديث هي غربة في الوطن، غربة وسط الأهل والأحباب محيطون به يسكنه هاجس القلق من خلالها، والخوف من كل شيء، وأي شيء، يحسُّ بأنَّ الأيام لا تخفي له إلا ويلا ولا تعدُّ له إلا سماءً، كل نفس حتى نفسه يترصده ويريد النيل منه، وهذه الغربة ولدت بطبيعتها غموضاً"²³.

يلقب الغماري بشاعر "العقيدة الإسلامية" لكن نستطيع أن نلقبه بشاعر الغربة، فلا تكاد تكون قصيدة إلا وكان فيها غريبا، كيف لا ونعرف الغربة من صفات المسلم كما ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم**، ونذكر أيضا أن أول ديوان له كان بعنوان "أسرار الغربة"، فلنتعرف أكثر على أسرارها بالغوص في تجلياتها:

2- صور الغربة:

وقد تجلت الغربة في الشعر الغماري في عدة صور لكن حاولنا تلخيصها في أهم ثلاث نقاط وهي:

أ- الحزن والألم:

تتجلى الغربة عبر عدد لا يحصى من الصور الأليمة والحزينة في شعره، "فإحساس الشاعر بالغربة في أرض لا تعرفه، وقوانين تلجمه وتحطم عناصر شخصيته الروحية كل ذلك إنما يجعل الشاعر مستحيلا، باكيا، كاشفا عن همومه وآلامه، معبرا عما تحمله النفس من عنت وبؤس"²⁴، يقول متناقلا مستسلما:



ليس لي إلا الكلام والحزن والجرح الحزين واللحن الجريح

وماقٍ تنظي برؤى قلبٍ ديبخ

فأنا لا أملك السيف ولا التاج المهيّب

إنما في القلبِ جمرٌ يسفح اللحنَ الخصب²⁵

وقد استنفذت كثرة الآلام قواه، وخارت حتى بلغت أدنى مستويات الظمأ، والسبب :

ظمانٌ إلا من الآلام تعصرني لحنًا وتسكّر من عمر الأناشيد²⁶

ويقول أيضا:

وتيبس في دمي زواياي تُصلب في أحلامي

وتنتب غربةٌ وحشيةٌ تغتال أنسامي

وكم غنت على ظمًا بنارِ الحرفِ أيامي²⁷

ويعلن شكواه بصفة صارخة وأكثر تقريرية في ديوانه "ألم وثورة"، ولعل العنوان يحمل أكثر

من دلالة " فالغماري ثار لأنه تألم"²⁸:

معا صلبنا على أشلاءِ دُنيانا وكم شربنا الأسي في الليل ألوانا

وكم قرأنا معا أسرارَ غربتنا هل الغريبان يا سمرأءِ الآنأ؟

وتزداد غرخته، ويستولي على الشاعر شعور قاتل بالحزن والضياع حتى أصبح ملازما له:

كم عشت في الحزن يهواني وأعشقه حتى تنفس مثل الفجر إيماننا

فما هو الحل إذن ؟ لا يوجد سوى سبيل سوى التغرب والسفر، يقول:



سَافَرْتُ فِيهِ وَكَانَ الزَّادُ فِي سَفَرِي مَا كَبِرْنَا وَمَا شَاخَتْ حَنَائِنَا

فالحزن والهموم تسكن ليالي الشاعر وتظهر فيه بشدة، فليس هناك وقت تنتظره الهموم والأحزان سوى الليالي الطويلة، لأنه ما من ليل إلا لازمه ألم وسهر، فلا ينام إلا كل مرتاح، لذا فالشاعر:

يُنَاجِي النَّيْلَ وَالْأَشْوَاقَ وَالْآلَامَ وَالْقَدْرَ²⁹

إنه ليلٌ طويلٌ بمرارته، إنه موسم تفتح براعم الحزن التي تُنبئها شجرة الأسي، يصرخ قائلاً:

أَجْبَائِي.. طَالَتْ بِي شَكَاتِي وَعُزْبَتِي

بَدْرَبِ يَدُوسُ خِصَلَاتِهِ الْعَنَّا

كَأَنَّ الظَّلَامَ الْمَرَّ.. وَأوراقِ الأسي تثمرُ الحُرْنَ

إِلَى الْجِرَاحِ السُّودِ.. تَعَصَّرُ مَقْلَتِي

وَيَسْكُرُ مِنِّي اللَّيْلُ.. يَفْنِي . وَمَا يَفْنَى³⁰

استمر ألمه وطال باستمرار أسبابه إلى درجة الموت من الجرح الذي يرفض أن يُشفى، فيخاطب بلهجة متحدية ينتظر مصيره بثقة وصبر:

فَقَفْ يَا حَامِلَ الْأَقْدَاحِ

وَاشْهَدْ مَوْتَنَا حِينَا

عَلَى أَطْلَالِ وَادِينَا

عَلَى نَجْوَى شَرِبْتُ بِهَا شَرَابًا تَبِصُهُ الْعَسَلُ



وَمِنْ شَكْوَى شَرَفَتْ بِهَا

فَجُرْحِي لَيْسَ يَنْدَمِلُ³¹

ويطول ألمه وحسرة والحزن ويؤثر ذلك على شعره الذي هو "قيتاره"، فيصبح صفة لازمة له، بل على كل حياته، يصرخ قائلاً:

يَا مَـوَالُ

أوراقُ الهوى حَسْرَةً

ومَاتَ النَّحْنُ فِي القَيْتَازِ

جَفَّ العَطْرُ فِي الأزْهَازِ

لا أَنْسُ، ولا فَرْحِ

وها ظمئت وريقاتُ الرمالِ السُمُرِ

يَا - سَاقِي

بِأَعْمَاقِي³²

وانعكست صور نفسيته الداخلية السلبية على كل ما هو خارجي، فكل ما هو جميل خفَّ رونقه وزال بريقه.

ب- الشعور بالوحدة والضجر: فالشاعر وحيد حزين وغريب:

وَحِيدٌ يَمْضُغُ النَّجْوَى وَيَقْتَاتُ الدَّوَابِ³³

فأفكاره جعلته كما لو أنه في كائن منفرد نزل من عالم آخر غير الأرض، يقول في قصيدته "حرام" وهي قصيدة تصلح أن تكون أنموذج للاعتراب عند الشاعر:



وَعَيْنِي..مَلُؤَهَا الْأَشْبَاحُ وَالْأَوْهَامُ

وَالضَّجْرُ

.....

نُسَافِرُ فِي حَنَائِيهَا

نُقْتَسِئُ عَنْ مَعَانِي الشَّقْوِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّوْحِدَةِ

وَتَنْبُتُ عُرْبَةٌ حِينًا مَدَى..

يَتَسَكَّعُ الْعَدَمُ

تُضَاجِعُهَا عَلَى الْأَبْعَادِ رُؤْيَا مَرَّةً...سَأَمُ³⁴

ت-القلق: هو رد فعل عكسي للغربة التي يعيشها الشاعر يقول:

وَتَاهَتْ عُرْبَةٌ سِوَاءَ بَيْنِ الْمَوْجِ وَالْقَلْقِ

فَهَلْ تَدْرِينِ يَا أَبْعَادُ فِي الْحَرْفِ مَنْ عَبَقُ؟³⁵

والسواد هنا يضيف للغربة صفة الكثرة والاستمرارية، والتشاؤم أيضا، لكنه لا يستسلم لغربته

ففي كل قصيدة وبعد كل غربة يواجهها، ولا يقف مكتوف الأيدي:

لَمْ نَزَلْ فِي غَرِبَةِ الْعَصْرِ نَقَاتُلُ

مَنْ يَدِينَا يُورِقُ الْفَجْرُ وَتَخْتَالُ السَّنَابِلُ³⁶

ولأن الغماري شاعر "العقيدة الإسلامية"، فهو ممن "قوي إيمانهم" إلى درجة أنه:

أَفْوَى مِنَ الْأَيَّامِ...يَا إِيْمَانِي



وَمَنْ الدُّجَى وَالغَدِّ وَالْأَضْعَانِ³⁷

فإنه مؤمن يقينا أنه:

سَيُورِقُ بِالضُّحَى دَرِي وَتَفْنَى الْغَرِبَةَ الْكُكْرُ

وَأَزْرَعُ أَلْفَ أَغْنِيَةٍ عَلَى التُّقْيَا... فتخضُرُ

وَفِي عَيْنِيكَ يَا سَمْحَاءُ، يَبْحُرُ بِالْهَوَى الْعُمُرُ³⁸

فهو دائما يتفاعل بانفراج الأزمة وزوال الغمة والغربة، فبعد الكرب والشدة يأتي الفرج وبعد

كل ألم لذة:

سَأَجْنِي اللَّذَّةَ الْخَضْرَاءَ مِنْ أَلْمِي عَدِي

وَمَنْ شَفْتِي نِدَاءَاتُ إلهِيَّةُ

وَمَنْ قَمَمِي مَشَاوِيرُ نضالِيَّةُ

لَأَعْبِقُ فِي عَدِي

وَيَبِينُ ظِلَالِهِ سُورَةَ

وَأَهْزِمُ كُلَّ أُسْطُورَةَ³⁹

ومصدر إلهامه سيكون إيمانه وعقيدته "الخضراء" السمحاء، والتي يظنها القرآن الكريم.

فالغماري غريب مسافر ولا بدّ للمسافر من زاد يلازمه، فما هي طبيعة زاده؟ يقول في قصيدة

"مسافر في الشوق":

زَادِي شَرِيْعَتِي الْخَضْرَاءُ... تُطْعِمُنِي



وَمِنْ كَرُومِكَ .. يَا رَبِّاهُ تَسْقِينِي⁴⁰

فلا دواء لعلّة الغربة سوى الحب، والإيمان، وعالم الطفولة، ولا مناص من الرجوع أخيرا إلى
الوطن الأم:

وَفِي عَدِي نَلْتَقِي شَوْقًا بِمَزْرَعَتِي

فَكَرًّا تَفْتَحُ آيَاتٍ .. وَقَدْ رَأَى

وَنَسِيقُ الْحُلْمِ .. نَبْنِيهِ وَنَصْنَعُهُ

وَتَشْرِبُ الْقَرْيَةَ الْخَضْرَاءُ سَقِيَاتَنَا

أَرَى صَلَاتِي عَلَى الْأَطْفَالِ .. وَادْعَةً

عَلَى الرَّبِّاءِ .. فِي رَبِيعِ الْعُمَرِ نَيْسَاتَنَا

وَأَنْتَ يَا وَطَنِي _ وَاللَّهِ _ مَلءَ نَمِي

فَغَنَّ يَا لِحْنُ يَخْضُوضُ جَنَاحَاتَنَا⁴¹

فلا توجد أبيات تختزل شخصية الشاعر "الغماري" كما فعلت هذه الأبيات، فهي تصوره
أحسن تصوير .

ومما سبق نقول أن نفسية الغماري - من خلال شعره - تدور حول حلقة قد تكون نقطة
الانطلاق فيها "غربة" تمر بالحزن والألم والشعور بالضيق والملل والوحدة، لترجع إلى نقطة البداية:
غربة واغتراب دائمين، وبعبارة أخرى قد تكون غرخته سببا أحيانا، وقد تكون نتيجة في آن واحد،
فشعر "الغماري" صورة لانفعالاته النفسية.



فإذا كانت الغربية في جوهرها غربة المكان، فما عسانا نقول: إذا كانت الغربية في المكان، غربة في منفى اسمه: الوطن، والوطن اسمه الجزائر.

هوامش:

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق عبد الحميد هندواوي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 3، مادة غرب، ص: 271-272.

² أبي القاسم بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998، ص 297.

³ بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، ص: 654.

⁴ أبي الفضل بن منظور، لسان العرب المجلد 1 دار صادر، بيروت، ص: 638-639.

⁵ عبد الرحمن بن زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي: ص:

⁶ أحمد القديدي، أدب الغربية عند القيروانيين مجلة الفكر العدد 108، 1 ماي 1975، ص 76-77.

⁷ نفسه، ص: 77.

* اسمه الكامل "مصطفى بن محمد بن علي بن محمد الصالح بن محمد الغماري" من مواليد 16 نوفمبر 1948 ببلدية "برج خريص" بولاية البويرة، ينحدر من أسرة متدينة لها عناية خاصة بالثقافة العربية الإسلامية. والشاعر لا يزال - إلى غاية كتابة هذه السطور - يزاول تدريسه بقسم اللغة العربية محاضرا في كلية الآداب بجامعة الجزائر. من مؤلفاته:

أسرار الغربية، نقش على ذاكرة الزمن، أغنيات الورد والنار، لن يقتلوك، الحلم الحاضر، قراءة في آية السيف، خضراء تشرق من طهران، قراءة في زمن الجهاد، جهاد وغربة، قصائد مجاهدة، عرس في مآتم الحجاج، مقاطع من ديوان الرفض، بوح في موسم الأسرار، حديث الشمس والذاكرة، ألم وثورة، العيد والقدس والمقام، الهجرتان، ديوان والإسلام، قصائد منتقضة.

ينظر: معجم الشعراء الجزائريين لعبد الملك مرتاض، عبد المالك بومنجل: الموازنة بين الجزائريين مفدي زكريا ومصطفى الغماري.

⁸ سعدي محمد، ملامح الرفض في شعر الغماري، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص: 14-15.

⁹ مصطفى الغماري، ألم وثورة، المؤسسة الوطنية، د. ط، 1985، ص: 85.

¹⁰ قري مجيد، مسار الرمز وتطوره في الشعر الحديث، أطروحة دكتوراه، 2009-2010، جامعة باتنة، ص: 47.

¹¹ نفسه، ص: 51.



- 12 عبدالمالك بومنجل، الموازنة بين الجزائريين مفدي زكريا ومصطفى الغماري ، قرطبة للنشر والتوزيع، ط 1، 2015، ص: 27
- 13 سعدي محمد، ملامح الرفض في شعر الغماري، ص: 16.
- 14 ابن تيمية ابن قيم الجوزية، أبو إسحاق الشاطبي، الغربية والغرباء تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 1989، ص: 65-66.
- 15 الغماري مصطفى محمد، نقش على ذاكرة الزمن، ص: 303.
- 16 شلتاغ عبود شراد، الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، دار مدني، الجزائر، 2003، ص: 72.
- 17 نفسه، ص: 83.
- 18 الغماري، مصطفى، قراءة في آية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص: 26.
- * وهو ديوان: أسرار الغربية.
- 19 سعدي، محمد، ملامح الرفض في شعر الغماري، ص: 15.
- 20 عبد المالك بومنجل، الموازنة بين الجزائريين مفدي زكريا ومصطفى الغماري ، ص: 19.
- 21 نفسه، ص: 14.
- 22 مصطفى الغماري، قراءة في زمن الجهاد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1980، ص: 09.
- 23 مجيد قري، مسار الرمز وتطوره، ، ص: 48
- ** للاطلاع أكثر ينظر أدب الغرباء لأبي الفرج الأصبهاني، الغربية والغرباء ابن تيمية ابن قيم الجوزية، أبو إسحاق الشاطبي.
- 24 بوقرورة عمر ، الغربية والحنين في الشعر الجزائري 1945-1964، منشورات جامعة باتنة، دت، ص: 235.
- 25 مصطفى الغماري، نقش على ذاكرة الزمن: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1978، ص: 69
- 26 المصدر نفسه، ص: 161.
- 27 مصطفى الغماري، أسرار الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1982، ص: 135.
- 28 سعدي محمد، ملامح الرفض في شعر الغماري، ص: 16.
- 29 مصطفى الغماري، ألم وثورة، ص: 88.
- 30 مصطفى الغماري، أسرار الغربية، ص: 91.
- 31 نفسه، ص 46.
- 32 المصدر نفسه: 46.
- 33 أبو القاسم، سعد الله، تجارب في الرحلة والأدب، عالم المعرفة، الجزائر، ط 3، 2009، ص: 154-155.
- 34 مصطفى الغماري، أسرار الغربية ص43-44.



35 نفسه، ص: 169.

36 مصطفى الغماري، حديث الشمس والذاكرة، ص 75.

37 الغماري مصطفى، أسرار الغربية، ص: 85.

38 نفسه، ص: 133.

39 المصدر نفسه، ص 119.

40 المصدر نفسه، ص: 55.

41 المصدر نفسه، ص: 128-129.

المصادر والمراجع:

1- المصادر:

المعاجم:

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج3.

2- أبي القاسم بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998.

3- بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان .

4- أبي الفضل بن منظور، لسان العرب المجلد 1 دار صادر، بيروت.

الدواوين:

الغماري، مصطفى محمد:

1- أسرار الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1982.

2- نقش على ذاكرة الزمن: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1978.

3- قراءة في زمن الجهاد، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1980.

4- قراءة في آية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989.

5- ألم وثورة، المؤسسة الوطنية، د.ط، 1985.

2- أبحاث:

1- ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، أبو إسحاق الشاطبي، الغربية والغرباء تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 1989.

2- أبو القاسم، سعد الله، تجارب في الرحلة والأدب، عالم المعرفة، الجزائر، ط 3، 2009.

3- بوقرورة عمر، الغربية والحنين في الشعر الجزائري 1945-1964، منشورات جامعة باتنة، د. ت.

4- بومنجل، عبد المالك، الموازنة بين الجزائريين مفدي زكريا ومطفى الغماري، قرطبة للنشر والتوزيع، ط 1، 2015.

5- شلتاغ عبود شراد، الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، دار مدني، الجزائر، 2003



مذكرات واطروحات:

- 1- قري مجيد، مسار الرمز وتطوره في الشعر الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة ، 2009-2010.
- 2- سعدي محمد، ملامح الرفض في شعر الغماري، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2000-2001.

المجلات:

- 1- أحمد القديدي، أدب الغربية عند القيروانيين مجلة الفكر، العدد 108 ، 01- ماي - 1975.